

2

# قصص الصحابية

صوت  
من السماء

سلوى العناني

دار اللطائف  
DAR AL LATAYEF

## صوت من السماء

(بلال بن رباح)

[أنا الحشي الذي كان بالأمس عبداً .. كنت ضالاً فهداني  
الله .. وكنت عبداً فأعتني الله] بلال بن رباح

هذا يومٌ من أعظم أيام التاريخ .. وربما كان أعظمها ..  
ففى هذا اليوم فتح الله للإسلام فتحاً مبيناً .. فتدخل  
الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - مكة المكرمة  
على رأس عشرة آلاف من المسلمين .. كان منهم الأنصارُ  
ومنهم المهاجرون ، ومنهم أبناء القبائل الأخرى التي  
أسلمت ، وأمنت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ..

كان (محمد عليه السلام) يبنى أن يدخل مكة دون أن  
يسفك دماً على أرضها لتظل (حراماً) كما أراد الله لها ، وقد  
منَّ الله عليه بهذا ..

فها هي طلائع المسلمين تقترب من بيوت مكة ، ولم  
يظهر من يعترض سبيلها ..

إلى البيت الحرام اتجه النبي ، ومع باقي المسلمين وارتفع  
ندائهم .. ثَبِّتْكَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْكَ ، وتسابقوا إلى تحطيم الأصنام  
لحل الكعبة ، ومن حولها .. وأزالوا الرسوم ، ومحوا كل  
مظاهر الشرك وارتفعت تهليلاتهم .

{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}

[الإسراء: 81]

وجاء موعد الصلاة .. ومن فوق الكعبة ارتفع للمرة  
الأولى صوت جميل ، بنداؤ الحق .. فكان ، وكأنه (صوت من  
السماء) .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن لا إله إلا الله ..

أشهد أن محمداً رسول الله ..

أشهد أن محمداً رسول الله ..

حي على الصلاة .. حي على الصلاة .

حي على الفلاح .. حي على الفلاح .

الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .

فَمَنْ هذا الرجلُ الذي كان له شرفُ إطلاقِ نداءِ الحقِّ  
بالصلاةِ لأوّلِ مرةٍ في الكعبةِ المشرفةِ يومَ النصفِ من  
رمضانِ في العامِ الثامنِ للهجرة ٩٩..

من هذا الرجلُ النحيلُ شديدُ السمرةِ مفرطُ الطولِ ..  
قصيرُ الشعرِ؟

إنه (بلال بن رباح) ..

أول مؤذن في الإسلام ..

أول من رفع نداءَ الصلاةِ في مدينةِ رسولِ الله ..

كما علّمه إياه الرسولُ ..

ثم هو يحظى بشرفٍ رفيعٍ نفّسِ النداءِ في الكعبةِ يومَ فَتَحَ  
المسلمون مكةَ ، ودخلوها حاملين رايةَ الإسلامِ ، والنوحيدِ  
الله ..

فهل تزجّعُ قليلاً مع الأيام لتعرفاً من هو (بلال بن  
رباح) ؟

كان هذا الرجل قبل إسلامه (عبدًا) يرمى الغنم لرجل  
من سائر قريش يُدعى (أمية بن خلف)، وكان أجره (يضع)  
(أت) يأخذها في نهاية يوم شلق من العمل، ويتنحى  
جانبا، فيأكل منه ما يأكل، ثم يفتش الأرض، لينام.. وفي  
الصباح يمضي مع الإبل إلى حيث الكلاء غير عابى حرارة  
الشمس، ولا بقسوة الطبيعة.. ومذا هو فاعل، وهو عبد  
لا أهل له، ولا عشيرة، وهو لا بد أن يستمر في عمله،  
حتى يضمن هذه الثمرات التي لا تكاد تُسدُّ رمقه؟

كان بنامل الطبيعة حوله.. هذه الشمس تدور في فلكك  
بحكم، فتتظم الأيام، والليل، والنهار، وهذا القمر يأتي،  
فيتظم الشهور، والسنوات.

هذا الكلاء ينمو بين الصخور، وفي الرمل.. وهذه  
السحب تأتي أحيانا بالظير، وأحيانا تعبر الأرض فلا تحود  
عليها بشيء من الماء..

كان راضيا بنصيبه من الحبة.. فهو عبدٌ أجير ليس له  
حق المعرفة.. كان يحس أنه فقد الحق في أن يعلم بأن يكون

يومًا مثل باقي البشر - فهو أسودُ البشرةِ وابنُ (أُمّةٍ)“  
كانت هي الأخرى سوداء .

وسط ظلام الحيلة حوله تسللَ إليه يوما طيفُ نورٍ أيقظَ  
فيه الأملَ .. وداعبَ الخُلُمَ -

فقد سمع أن نبيا ظهرَ في مكةَ يدعو الناسَ إلى عبادةِ إلهٍ  
واحدٍ ويقول : إن الناسَ سواسيةٌ ، ولا فَضْلَ لأبيضٍ على  
أسودٍ إلا بالتقوى- وإلى هذا الرسولِ النبيُّ فُهب (بلال) ،  
فسمع حديثنا لم يسمعه من قبل .. وأحسنَ لأوّلِ مرةٍ أنه  
إنسانٌ مثل باقي البشرِ ،

وأنه قادرٌ على أن يحلُمَ ، وأن يحققَ أحلامه ..

ونطقَ (بلالٌ) بالشهادةِ بين يديّ رسولِ الله وبدأ يأخذ  
عنه تعاليمَ الإسلام .. وبدأ يشعرُ وكأن ضيئةً يغمُرُ نفسه  
وينيرُ قلبه..

ويصلُ إلى علمِ (أُمّةٍ بنِ خَلْفٍ) ما أقدمَ عليه (العهدُ

الحبشي ، فَنُتِيزُ ثَوْرَةً مَا بَعْدَهَا ثَوْرَةً .. فَكَيْفَ لِهَذَا الْعَبْدِ أَنْ  
يَعْتَنُقَ دِينًا غَيْرَ دِينِ سَيِّدِهِ .

كَانَ هَذَا السَّيِّدُ زَعِيمًا فِي قَوْمِهِ .. وَكَانَ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ  
الَّذِينَ ثَارُوا ضِدَّ دَعْوَةِ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ وَتَرَعَدُوا صَاحِبَ  
الدَّعْوَةِ ، وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ . بِالْوَيْلِ ، وَالثَّبُورِ .

فِي سَاعَةِ الظُّهْرِ جَاءُوا (بِلَالٌ) مُقْبِدًا بِالسَّلَاسِلِ  
فَطَرَحُوهُ أَرْضًا فَوْقَ الرَّمْلِ ، وَالْحَصَى الْمَلْتَهَبِ ، ثُمَّ حَمَلَ  
مُجْمُوعَةً مِنَ الرِّجَالِ صَخْرَةً ضَخْمَةً ، وَوَضَعُوهَا فَوْقَ  
صَدْرِهِ .

وَجَاءَ سَيِّدُهُ بِحِمْلٍ السُّوْطِ ، فَيَهْوِي بِهِ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ  
جَسَدِهِ طَامِعًا فِي أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ كَلِمَةً اعْتِزَارٍ ، أَوْ عُدْوَةٍ عَنْ  
هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ الَّذِي اعْتَقَهُ .. لَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ بِلَالٍ  
إِلَّا كَلِمَةً وَاحِدَةً .. أَحَدٌ أَحَدٌ .. أَحَدٌ أَحَدٌ .

وَتَزْدَادُ ثَوْرَةُ (أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ) وَيَسْرُ بِمُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ  
عَلَى جَسَدِهِ (بِلَالٌ) .

وبدا الكفار في مساومة (بلال) .

- اذكر آهتنا بلخير فيتوقف عنك هذا العذاب .

- قل ربي اللات والعزى .

- اذكر (محمدًا) بسوء ..

فقط ينطق بكلمة واحدة ، ويتوقف العذاب ، لكنهم لم  
يسمعوا منه إلا ما آمن به ..

أحد أحد .. أحد أحد ..

ويعلم (الصديق) أبو بكر بما حدثت (بلال) فيذهب إلى  
(أمية بن خلف) يطلب منه شراء (العبد المتصور بلال) ..  
ويفرح أمية بهذه الصفقة .. فيها هو ينخلص من هذا العبد  
المشاغبه ويزيح عن نفسه عار هذا الدين الذي اعتنقه ..  
ثم هو يفيض ثمنه .. وهذا خير من قتلو .. وسلم  
(أبو بكر) الدراهم إلى (أمية) .. ويصطحب معه (بلالا) ،  
ويشرك بالحربة ..

نعم ، فقد اعتق أبو بكر (بلالا) منذ لحظة شرائه ، وإلى



أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ينضم (بلال) ،  
ويُدارسُ الدينَ ، ويحفظُ القرآنَ ، ويدأومُ على الصلاة ..  
بهجرٍ مع من هاجرَ من المسلمين إلى المدينة هرباً من  
ظُلم كفارِ مكة ، وطغيانهم.

وفي المدينة بدأت دولةُ الإسلام تُرسي أركانها - ففُرِضَت  
الزكاةُ ، وفُرِضَ الصومُ ، واتسعت رفعةُ المدينة بزيادَةِ عددِ  
المسلمين وكان لابدٌ من وسيلةٍ تجمعُ المسلمين للصلاة في  
وقتها .. وعلى لسانِ (جبريل) جاء الأمرُ للنبيِّ الكريمِ يرفعُ  
الأذان في موعدي الصلاة.  
ويختارُ النبيُّ أجملَ صحابته صوتاً لكي يرفعَ نداءَ الحقِّ في  
سماو (المدينة) .

وفي موعدي كل صلاةٍ يصعدُ (بلال) فوق بيتٍ مرتفعٍ  
يجاورُ مسجدَ الرسولِ ، فيطلقُ صوته الجميلَ العذبَ بأعلى  
كلِّ صوته سمعتهَا أذنٌ على سطح الأرض ..

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن لا إله إلا الله ..

أشهد أن محمدًا رسول الله .. أشهد أن محمدًا رسول الله ..

حي على الصلاة .. حي على الصلاة ..

حي على الفلاح .. حي على الفلاح ..

الله أكبر .. الله أكبر ..

لا إله إلا الله ..

لقد ارتفع هذا الصوت يومًا مرتفعًا - أحمَدُ أحمَدُ - بينما  
كان العذابُ ينهلُ على جسدِ صاحبه .

وها هو اليومَ يرفعُ الأذانَ ، ويدعو الناسَ للصلاة ، وهو  
فخورٌ .. سعيدٌ .. راضٍ .. فهو اليومَ رجلٌ حرٌّ .. مؤمنٌ .. وها  
هم المسلمون ازدادوا عُوْدًا ، وقوةً ..

ولم يرضَ كفارُ قريشٍ ، وغيرها من قبائل العربِ بهذا  
الاستقرار الذي ينعمُ به المسلمون في المدينة . وأزعجتهم  
هذه القوةُ في العلنِ والعِنةُ التي وصلوا إليها .. فتصدت  
غزواتهم يَتَمَنُّونَ أن يكسروا شوكةَ الإسلامِ ، ويشغلوا

المسلمين عن دينهم بحروب تُفني رحالهم ، وتبهد ثرواتهم ،  
وكانت (هند) هي أولى الغزوات التي شنّها كفار قريش ،  
والغلاّظهم على المسلمين .. وتسانق المسلمون لحمل  
الأسلّاح ، دفاعا عن دينهم ، وخرجوا للقاء هؤلاء المشركين  
الذين سبق أنّ أذاقوهم مرّ العذاب ، والاضطهاد أثناء  
وجودهم في مكة .. وكان (بلال) واحداً من بين هؤلاء  
الذين انطلقوا إلى ساحة القتال ، مدافعين عن دينهم  
العظيم .

.. وكان شعاره الذي يصيح به طوال المعركة :

أحد أحد .. أحد أحد ..

ونأتي الفرصة إلى (بلال) ..

وترفع يده بالسيف ويثار لنفسه من (رأس الكفر أمية  
ابن خلف) ..

ملكه اليد التي قبضها (أمية) يوماً بالأغلال والقيود ،  
ليرفع صاحبها على الأركان عن دينه ..

هذه اليد أصبحت اليوم حرة ، تدافع عن دين الحق ، عن  
الإسلام ، وني الإسلام ..

كان (بلال) رفيقا حقيقا لرسول الله .. لا يكاد يفارقه في  
أيام السلم .. ولا في أيام الحرب ، وفي القتل يراه أصحابه  
بطلا ، مقاتلا ، مُدافعا عن الإسلام ، وعن رسوله .. ويزداد  
حُب رسول الله كل يوم لبلال حتى كان يصفه بأنه (رجل  
من أهل الجنة) .

على أن هذه المكانة التي خصها به رسول الله لم تدخل في  
نفسه غرورا ، ولا كبرا ..

وكان دائما يردد (أنا الخبيث الذي كان بالأمس عبدا ..  
كنت ضالا فهداني الله .. وكنت عبدا فاعتقني الله) .

ويتنقل النبي الكريم إلى الرقيق الأعلى ويغمر المسلمين  
الحزن وإن كانوا قد رضوا بقضاء الله ..

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ} أَوْ قِيلَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ عَلَى أَغْطَابِكُمْ وَمَنْ يَقْلِبْ عَلَى

عَقِبَهُ قَلْبٌ يُحِبُّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَبَّحَ فِي اللَّهِ الشَّاكِرِينَ

[آل عمران : 144]

وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناس حُرَنًا، فقد اتقوا صُحْبَتَهُ لِمَعْلَمَةٍ، وأحبوا حديثه الطيب ..

وكيف يطيقُ رجلٌ مثل (بلال) أن يبقى في المِلَّةِ وقد خَلَّتْ من الحبيبِ المصطفى الذي كان أحبَّ عنده من نفسه ؟

طلب (بلال) من خليفة رسول الله (أبي بكر) أن يُلْزَمَ له بالرحيل ، لأنه يفضل أن يقضي ما يقى من عمره مرابطاً في سبيل الله ..

لقد اختار (بلال) هذا الموقف ، لأنه سمِعَ رسولَ الله عليه السلام يقول : "أفضلُ عَمَلِ المؤمنِ الجهادُ في سبيل الله"

رَبِّهِ الرَّابِطُ أَبُو الرَّحِيلِ الطَّيِّبُ ، يَفْعَلُ عَمَلَهُ سَلَامَةً لِنَفْسِهِ وَجَارِهِ ..

وَلَا يَمْلِكُ (الصدق) خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُلَاقِيَ رَغْبَةً  
(هلال)، وَإِنْ كَانَ فَدَعَّمَتْهُ أَنْ يَبْقِيَهِ فِي الْمَدِينَةِ مُؤَذِّنًا  
لِلْمُسْلِمِينَ بِهَا .. وَإِلَى الْخَنُودِ الشَّعَالِيَةِ لِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ -  
إِلَى الشَّامِ - سَافَرَ (هلال) حَيْثُ قَضَى مَا نَبَقِيَ مِنْ حَيَاتِهِ ،  
وَانْتَقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ وَهُوَ فِي السَّتِينَ مِنْ عَمَرِهِ .. وَقَفَّسَ فِي  
بِلَادِ الشَّامِ .

عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللَّهِ .. وَرَحْمَتُهُ ، وَبَرَكَاتُهُ ..



